السلم الحجاجي في الشعر السياسي عند شعراء المشرق العربي في القرن الخامس الهجري

الباحثة. غفران فاضل زناد

ghufranfadil6@gmail.com

الاستاذ المساعد الدكتور لينا طهماز علي الدلوي

lenaali@cois.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

يعد الحجاج آلية من آليات التداولية وهي قائمة على إثبات الكلام بالحجج والبراهين، ويستهدف إقناع المحاور أو المتلقي وإحداث أثر لديه، فهي أصبحت العملية التي يتوسل بها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بالوسائل القوية، كما أنه حوار للوصول إلى الاقتناع دون حمل على الإقناع، وبذلك أضحى الحجاج مطلبًا أساسيًا في كل عملية اتصالية تستدعي الإفهام و الإقناع، فهو يخترق كل الخطابات بدرجات وكيفيات مختلفة، وبات ضرورية كلامية لمن أراد أن يقنع ويفهم في نفس الوقت، ولأهميته ارتئينا خوض هذا الجانب ضمن نطاق الشعر السياسي عند شعراء المشرق العربي في القرن الخامس الهجري، لتميز أشعار تلك الفترة باستعمالها لأساليب وأنواع حجاجية، وعليه قُسمت الدراسة إلى مدخلٍ وثلاثة مباحث، المبحث الأول الحجاج التصاعدي، والمبحث الثاني الحجاج التنازلي والثالث الحجاج التراكمي، وانتهت الدراسة بخاتمة بأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية :(السلم، الحجاج، الشعر السياسي، المشرق العربي).

The argumentative ladder in the political poetry of the poets of the Arab East in the fifth century AH

Ghufran Fadel Zinad

ghufranfadil6@gmail.com

Asst. Prof. Dr. Lina Tahmaz Ali Al-Dalawy

lenaali@cois.uobaghdad.edu.iq

University of Baghdad/ College of Islamic sciences

Abstract

The pilgrims are considered one of the mechanisms of deliberation, and it is based on proving speech with arguments and evidence, and it aims to convince the interlocutor or the recipient and make an impact on him. Thus, pilgrims have become a basic requirement in every communication process that requires understanding and persuasion, as it penetrates all discourses in different degrees and manners, and it has become a verbal necessity for those who want to persuade and understand at the same time. Because of its importance, we decided to delve into this aspect within the scope of the political poetry of the poets of the Arab East in the fifth century AH, because the poetry of that period was distinguished by its use of argumentative methods and types, and accordingly the study was divided into an introduction and three topics, the first topic is the ascending pilgrims, the second topic is the descending pilgrims and the third is the cumulative pilgrims, and the study ended With a conclusion with the most important findings and a list of sources and references.

Keywords (peace, pilgrims, political poetry, the Arab East).

مدخل: حول ماهية السلم الحجاجي

يرتكز مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرج في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة؛ لأن الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية لا يرتبط بالمضمون وما يحيل إليه من مرجح، وإنما يرتبط أيضا بقوة وضعف الحجج، ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب، فالمرسل ينظم حججه أثناء التواصل

على وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة منها: مرتبة المرسل، وطبيعة المرسل إليه، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي(جودي ، ٢٠١٧، صفحة ١) (حسين، ٢٠١٨، صفحة ١٠٩٠) ، ولهذا يمكن القول:" إن السلم الحجاجي لا يحمل قضيتين متعارضتين دفعة واحدة أو أكثر، وإنما يكتفي بأطروحة واحدة مؤيدة أو معارضة مثبتة أو مفندة" (عمر ، ٢٠١١، صفحة ١٧) ، وله أنواع ثلاثة وحسب تلك الأنواع قسمت الدراسة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السلم الحجاجي التصاعدي

المبحث الثاني: السلم الحجاجي التنازلي

المبحث الثالث: السلم الحجاجي التراكمي

المبحث الأول: الحجاج التصاعدي.

على وفق هذا النوع من السلالم الحجاجية فإن المتكلم يبدأ بإيراد حجته تصاعديًا أي من الحجة الضعيفة فالقوية، ثم الحجة الأقوى، بمعنى أن الحجاج في هذا النمط من السلالم يمكن تصنيفه بأنه من نوع من مؤكدات الخطاب؛ لأن الغاية وراء استعمال هذا النوع من الحجاج هو السعي إلى ترسيخ دلالة هذا الحجاج في ذهن المخاطب(كاظم، ٢٠١٥، صفحة ٣) ، وبما أن الحجاج ينطلق من أسفل السلم غالبًا ما تكون الحجة الأولى المطروحة في الخطاب مهيأة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها لاستمالة المتلقي وإذعانه (حنو و العبودي، ٢٠١٦، صفحة ٨٣) ، ومن أمثلة ذلك:

* قول ابن أبى حصينة من (الطويل) (ديوان ابن ابي حصينة ، ١٩٥٦، صفحة ٥٤) :

بَنـــى لِبَنـــي الشَـــدّادِ فَخـــرًا مُوَطَـــدًا ∴ عَلـــى كُـــلِّ مَخلـــوقٍ وَمَجـــدًا مُـــؤَثَّلا

بِعَـــزمٍ ثَنـــى صَـــدرَ القَنـــاةِ مُحَطَّمًـــا ∴ وَرَدَّ غِـــــرارَ المَشـــــرَفيّ مُفَلَّـــــلا

نَسِينا بِهِ مَن كانَ في الدَهرِ قَبلَه ∴ وَكَم قَد رَأَينا آخِرًا فاقَ أَوَّلا

وَقَد فَضَّلَ اللَهُ الرَسولَ مُحَمَّدًا ∴ عَلى كُلِّ مَن قَد كانَ مِن قَبلُ مُرسَلا

أورد الشاعر في هذه الأبيات الحجج والأدلة على فضل ممدوحه على من قبله وتقدمه عليهم في الكرم، محاولًا إثبات القوة والشدة في صفة الكرم على من سبقه من أجداده، فجاءت حججه مرتبة تبعًا لقوتها، فالحجة الأولى قول الشاعر: بَنى لِبَني الشَدّادِ فَخرًا مُوَطَدًا عَلى كُلِّ مَخلوقٍ وَمَجدًا مُؤَثَّلا، والحجة الثانية: بِعَزمٍ ثَنى صَدرَ القَناةِ مُحَطَّمًا وَرَدَّ غِرارَ المَشرَفيّ مُفَلَّلا، والحجة الثالثة: نَسِينا بِهِ مَن كانَ في الدَهرِ قَبلَه وَكَم قَد رَأَينا آخِرًا فاقَ أَوَّلا، وهي أقوى من الحجتين السابقتين، واحتلت المرتبة الثانية، ثم جاءت الحجة الرابعة وهي قوله: وَقَد فَضَّلَ اللَهُ الرَسولَ مُحَمَّدًا عَلى كُلِّ مَن قَد كانَ مِن قَبلُ مُرسَلا، وفيها ما يثبت تقدم الممدوح على أجداده في الكرم أسوة بسيدنا محمد ﷺ وتفضيل المولى ﷻ له على سائر الرسل،" ولعل من المفيد أن الشاعر قد تجاوز في أبياته، إذ تضمنت إسرافًا في المبالغة حينما جنح إلى علاقة المشابهة بين فضل ممدوحه وفضل النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على سائر الأنبياء" (العتابي، د ت ،ص ٢٥٠) ، ويمكن وضع قول ابن أبى حصينة في السلم الحجاجي التصاعدي على هذه الصورة:

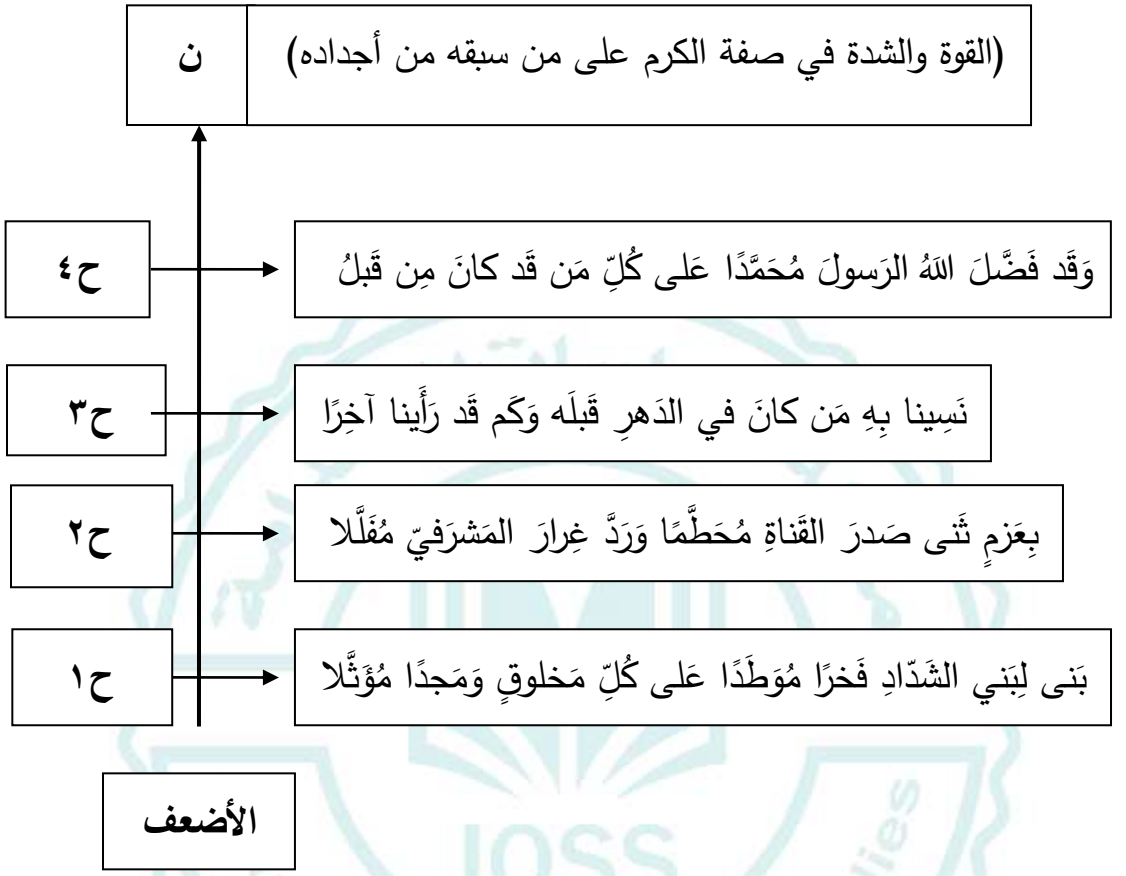
(القوة والشدة في صفة الكرم على من سبقه من أجداده)
ن
وَقَد فَضَّلَ اللهُ الرَسولَ مُحَمَّدًا عَلى كُلِّ مَن قَد كانَ مِن قَبلُ
ح٤
نَسِينا بِهِ مَن كانَ في الدَهرِ قَبلَه وَكَم قَد رَأَينا آخِرًا
ح٣
بِعَزمٍ ثَنى صَدرَ القَناةِ مُحَطَّمًا وَرَدَّ غِرارَ المَشرَفيّ مُفَلَّلا
ح٢
بَنى لِبَني الشَدّادِ فَخرًا مُوَطَّدًا عَلى كُلِّ مَخلوقٍ وَمَجدًا مُؤَثَّلا
ح١
الأضعف

* قول ابن الخياط من (الوافر) (الخياط، ٢٠٢٠، صفحة ٥):

وَأَنْـــــتَ أَشَـــــدُّهُمْ بَأْسًـــــا وَأَنْـــــدَا ∴ هُـــــمُ كَفُّـــــا وَأَكْثَـــــرُهُمْ فَخـــــارا

وَأَوْفَـــــاهُمْ إِذا عَقَـــــدُوا ذِمامًـــــا ∴ وَأَحْمَـــــاهُمْ إِذا حَـــــامَوْا ذِمـــــارا

وَأَمْـــــرَعُهُمْ لِمُرْتَـــــادٍ جَنَابًـــــا ∴ وَأَمْـــــنعُهُمْ لِمَطْلُـــــوبٍ جِـــــوَارا

قد يلجأ الشاعر إلى تدرج في حجاجه من المهم إلى الأهم كما في الأبيات أعلاه التأثير والتأثر(الطائي، ٢٠١٧، صفحة ١٤٤) (الميالي، ٢٠١٣، صفحة ٥٢٩) فقد جاءت الحجج مرتبة في السلم الحجاجي تبعًا لقوتها، فالحجة الأولى قوله:(وَأَنْتَ أَشَدُّهُمْ بَأْسًا وَأَنْدَاهُمُ كَفًّا وَأَكْثَرُهُمْ فَخارا) تبوأت المرتبة الأولى من السلم الحجاجي، وهي الأضعف والأبعد عن النتيجة المرجوة وهي شجاعة ممدوحه وبسالته وحفظه للعهد، وأما الحجة الثانية وهي قوله:(وَأَوْفَاهُمْ إِذا عَقَدُوا ذِمامًا) فهي أقوى من سابقتها، ذلك أن الوفاء بالعهد يقدم على الكرم والفخر، ثم جاءت الحجة الثالثة وهي قوله: (وَأَحْمَاهُمْ إِذا حَامَوْا ذِمارا وَأَمْرَعُهُمْ لِمُرْتَادٍ جَنَابًا وَأَمْنعُهُمْ لِمَطْلُوبٍ جِوَارا)، وفيها أشارة إلى علو أمر الممدوح فهو حامي الجوار، وهي أقوى من الحجة الأولى والثانية، وجاءت لتشد من أزرهما وتظهر التدرج التصاعدي في تدعيمها للنتيجة وهي إثبات شجاعة ممدوحه، ويمكن وضع قول ابن الخياط في السلم الحجاجي التصاعدي على هذه الصورة:

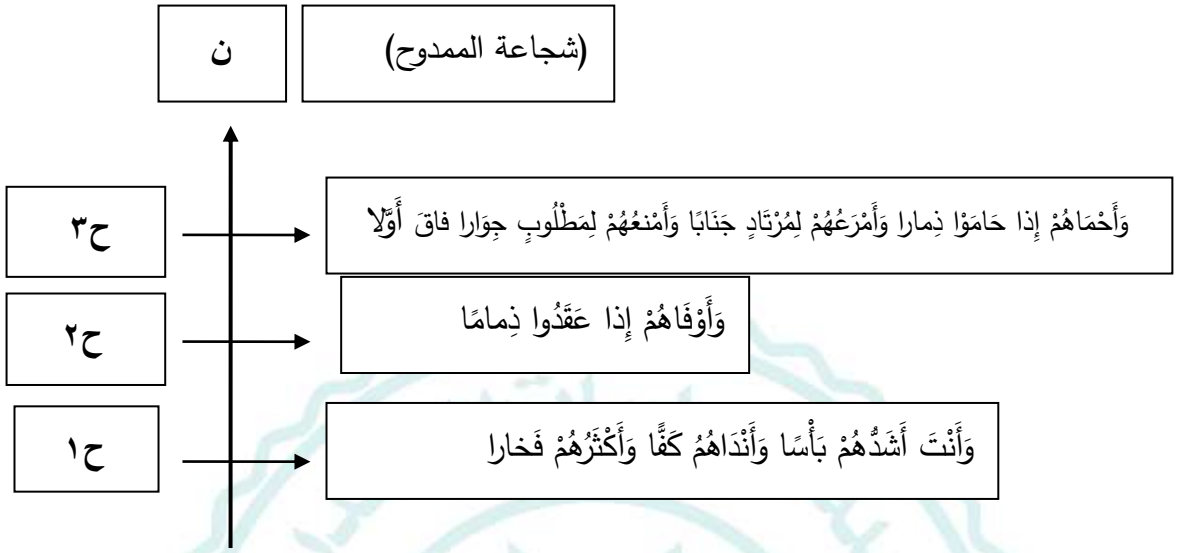

* قول الشريف المرتضي في قصيدة يذكر فيها الملك السعيد بهاء الدولة بحقوق دولته، ويتبرأ إليه من قروف أعدائه من (الوافر) (الرضي ، د ت ، صفحة ٤٩) :

خَـــدمتك حـــينَ أَســـلمكَ الأَدانـــي ∴ وَخلّـــى الجـــارُ نُصـــرَتنا وَهابـــا

وَكُنـــتُ أَخـــوضُ فيمـــا تَرتَضـــيهِ ∴ عَلـــى الأَعـــداءِ أَيّامًـــا صِـــعابا

أَخـــافُ المـــوتَ قـــدّامًا وخلفًـــا ∴ وَأَرقُبُـــه مَجيئًـــا أَو ذَهابـــا

وَأَكـــرع مِـــن عـــدوّكَ كـــلَّ يـــومٍ ∴ وَمـــا اِستَســـقيتُه صَـــبرًا وصـــابا

يسوق الشاعر الحجج ليستعطف ممدوحه حتى يرضى عنه فبدأ بأضعف الحجج وهي تذكيره بخدمته عندما تخلى عنه غيره، في قوله: خَدمتك حينَ أَسلمكَ الأَداني وَخلّى الجارُ نُصرَتنا وَهابا، ثم أتبعها بحجة أقوى منها وهي تحمله الأيام الصعاب في خوض المعارك ضد أعدائه، وترقبه للموت في أي وقت ومن كل جانب مرضاة له، في قوله:(وَكُنتُ أَخوضُ فيما تَرتَضيهِ عَلى الأَعداءِ أَيّامًا صِعابا)، ثم ذكَّره بحجة أقوى من سابقتيها وهي تجرعه الأذى من أعدائه كل يوم حتى نصبوه للقتل

ومَرِض، في قوله: وَأَكرع مِن عدوّكَ كلَّ يومٍ وَما اِستَسقيتُه صَبرًا وصابا، ويمكن وضع قول ابن الخياط في السلم الحجاجي التصاعدي على هذه الصورة:

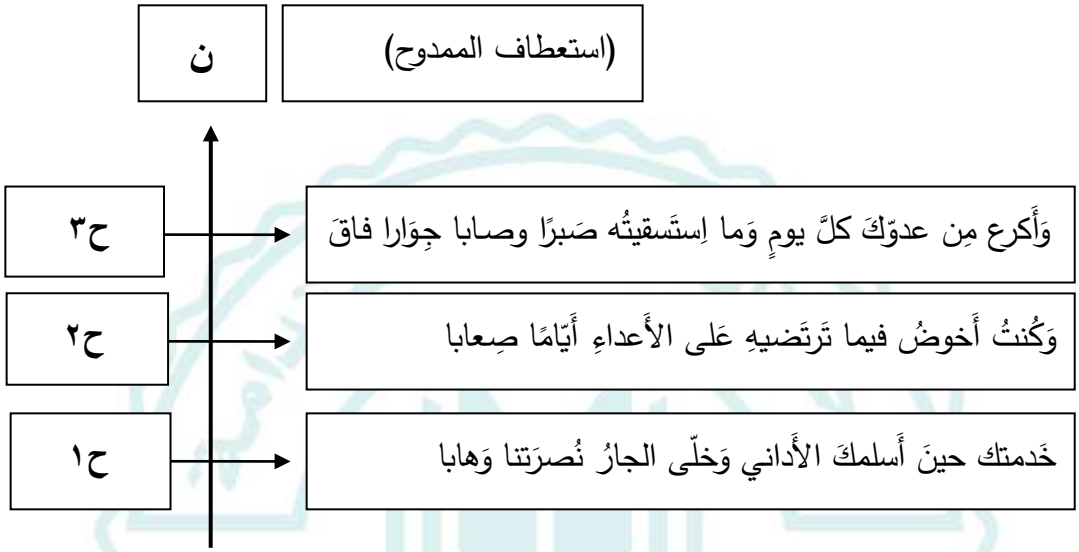

* قـــــــــــــــــــــــــول مِهْيَـــــــــــــــــــــــــار الـــــــــــــــــــــــــدَّيْلَمي [١]

[١] يمدح الأمير سند الدولة أبا الحسن بن مزيد من (البسيط) (الديلمي ، ١٩٢٥، صفحة ٢١):

ورفَّـــعَ الصـــونُ إلا عـــن منـــاقبكم ∴ أسـبابَ مـدحِيَ فـي شِـعري وفـي خُطَبـي

فمـــا ترانِـــيَ أبـــوابُ الملـــوك مـــع الـــ ∴ زِحـــام فيهـــا علـــى الأمـــوال والرُّتـــبِ

قَناعـــةٌ رَغِبـــتْ بـــي عـــن زيـــارة مســـ ∴ دولِ الســـتورِ وعـــن تأميـــلِ محتجـــبِ

يذكر الشاعر أسباب مدحه لممدوحه وهي رفع الصون عن محاسنه (الشاعر)، ويسوق الأدلة والحجج على ذلك فبدأ بالحجة الضعيفة وهي قوله: فما ترانِيَ أبوابُ الملوك مع الزِّحام فيها على الأموال والرُّتبِ، أي أنه لا يزاحم أبواب الملوك لطلب حاجته، ثم ذكر حجة أخري وهي قناعته وترفعه عن طلب المال أو الرتب، فلا يريد سوى زيارة ممدوحه، وهي أقوى من الحجة الأولى، ويمكن أن يكون السلم الحجاجي لهذه الأبيات كما يلي:

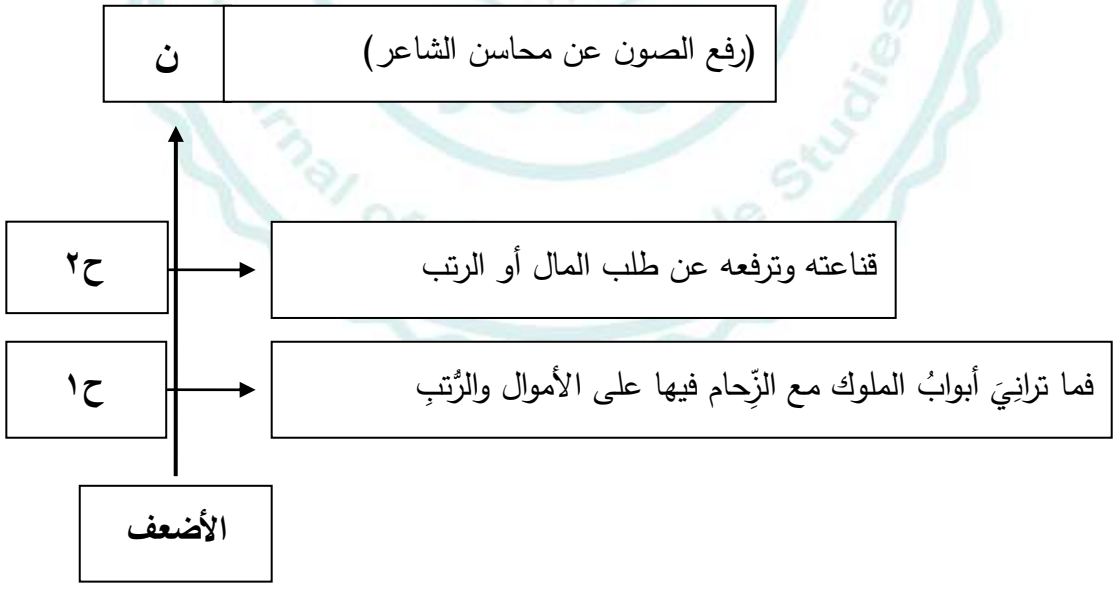

قول الشريف العقيلي[٢] من (السريع) (العقيلي ، د ت ، صفحة ٢٨٦):

لَنـــــا أَخٌ يَحفَـــــظُ مَـــــن خانَـــــهُ ∴ أَيَّ اِمـــــرِئٍ صـــــاحَبَهُ زانَـــــهُ

مـــا زَحَـــفَ المَطـــلُ إِلـــى وَعـــدِهِ ∴ قَـــــطُّ وَلا نـــــازَلَ سُـــــلطانَهُ

أَقسَـــــمتُ لَـــــو أَبصَـــــرَهُ حـــــاتِمٌ ∴ لَكـــــانَ يُستَحسَـــــنُ إِحســـــانَهُ

في هذه الأبيات يمدح الشاعر ممدوحه بأنه حافظ دومًا لود أصدقائه، وهو شرف لكل من صاحبه، فأورد من الحجج ما يؤيد ذلك فبدأ بالحجة الأولى وهي الوفاء بالعهد في قوله: ما زَحَفَ المَطلُ إِلى وَعدِهِ قَطُّ وَلا نازَلَ سُلطانَهُ.

ثم أتبعها بالحجة الثانية وهي شهادة حاتم الطائي له بالكرم والإحسان، وهي أقوى من سابقتها، في قوله: أَقسَمتُ لَو أَبصَرَهُ حاتِمٌ لَكانَ يُستَحسَنُ إِحسانَهُ، وعليه يكون السلم الحجاجي كالآتي:

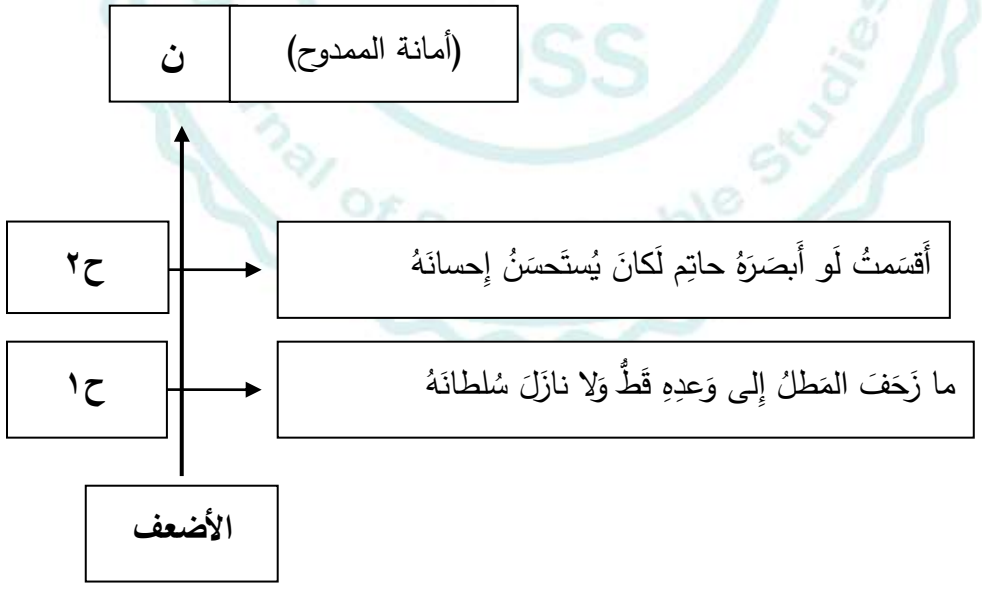

* **قول أَبُو الفَضْل المِيكالي[٣] من (الرجز)** (الميكالي ، ١٩٧٥، صفحة ٦١) :

وَطَلعَـــةٍ بِقُبحِهـــا قَـــد شُـــهِرَت ∴ تَحكـــي زَوالَ نِعمَـــةٍ مـــا شُـــكِرَت

كَأَنَّهـــا عَـــن لَحمِهـــا قَـــد قُشِـــرَت ∴ أَســـمِج بِهـــا صَـــحيفَةً قَـــد نُشِـــرَت

عُنوانُهـــا إِذا الوُحـــوشُ حُشِـــرَت ∴ يَلعَنُهـــا مـــا قَـــدَّمت وَأَخَّـــرَت

صـــاحِبُها ذُو عَـــورَةٍ لَـــو سُـــتِرَت ∴ إِن ســـارَ يَومًـــا فَالجِبـــالُ سُـــيِّرَت

أَو رامَ أَكـــلًا فَـــالجَحيمُ سُـــعِّرت. ∴

وظف الشاعر الاحتجاج في الهجاء على نقيض المدح، فالشاعر قد أقحم آيات الذكر الحكيم في ميدان الآخرين (العتابي ، د ت، صفحة ٥٠) ، ويمكن أن يكون السلم الحجاجي كالآتي:

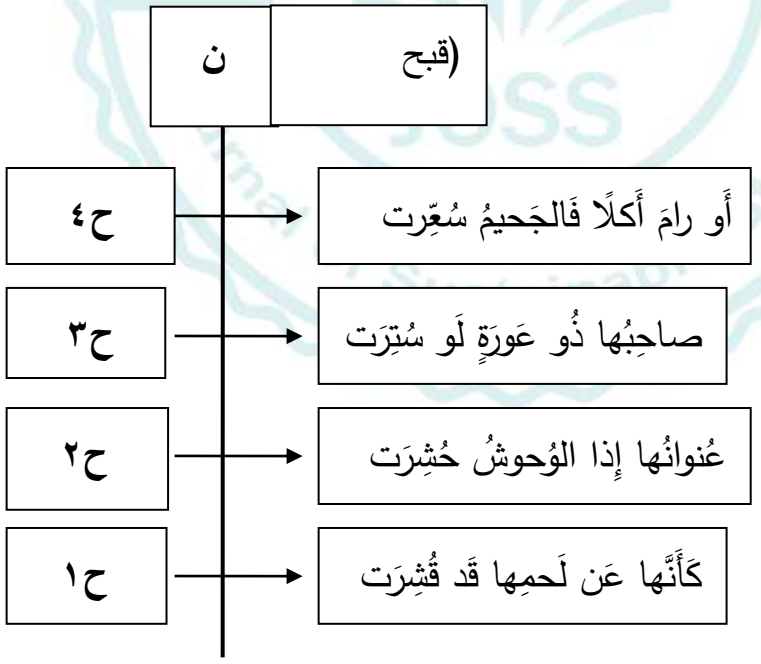

المبحث الثاني: الحجاج التنازلي:

يستعمل هذا النوع من الحجاج إذا كان المتلقي خصمًا أو من النوع الجاحد أو الشاك، الذي تجدي معه البدايات بالحجج الضعيفة، فهذا النوع من الحجاج يسير على عكس النوع الأول من السلم الحجاجي، حيث يبدأ في الحجة الأقوى وصولًا إلى أضعف حجة في سلم الخطاب، والمحاجج كثيرًا ما يلجأ إلى هذا النوع من السلم عندما يشعر أن البدء بالحجج الضعيفة قد يواجه ردًا من المتلقي بحجة أقوى؛ لذلك يبدأ كلامه مدافعًا عن الوجهة التي يريد، وهذا ما يقيد المتلقي ويُحَجِّم عليه باب النقاش، ويجعله آخذًا بطريق القبول لما قاله المحاجج (حنو و العبودي ، ٢٠١٦ صفحة ٨٥). ومن أمثلة ذلك:

*** قول إبراهيم الحضرمي من (الطويل)** (الحضرمي ، ٢٠٠٢، صفحة ٩٨) :

تَتَرَّب خَد الدين فينا ووجهه ∴ وما كان في آبائِنَا بمُتَرَّبِ

أُبيعَتْ أَبِيعَتْ بالنَدا ودُمُوعها ∴ تَسِيل ولم تُرْحَم بنيَّة يَعْرُبِ

يذكر الشاعر هنا حججه في الدعوة إلى الجهاد وخوض المعارك فبدأ بالحجة القوية وهي قوله: تتربّ خد الدين فينا ووجهه وما كان في آبائنا بمترب، وهي الدفاع عن الدين، ثم ذكر حجته الثانية وهي أضعف من الأولى وهي قوله: أبيعت أبيعت بالندا ودموعها تسيل ولم ترحم بنيَّة يعرب، وهي الدفاع عن العرض، ويمكن تمثيل هذا الحجاج بالسلم الآتي:

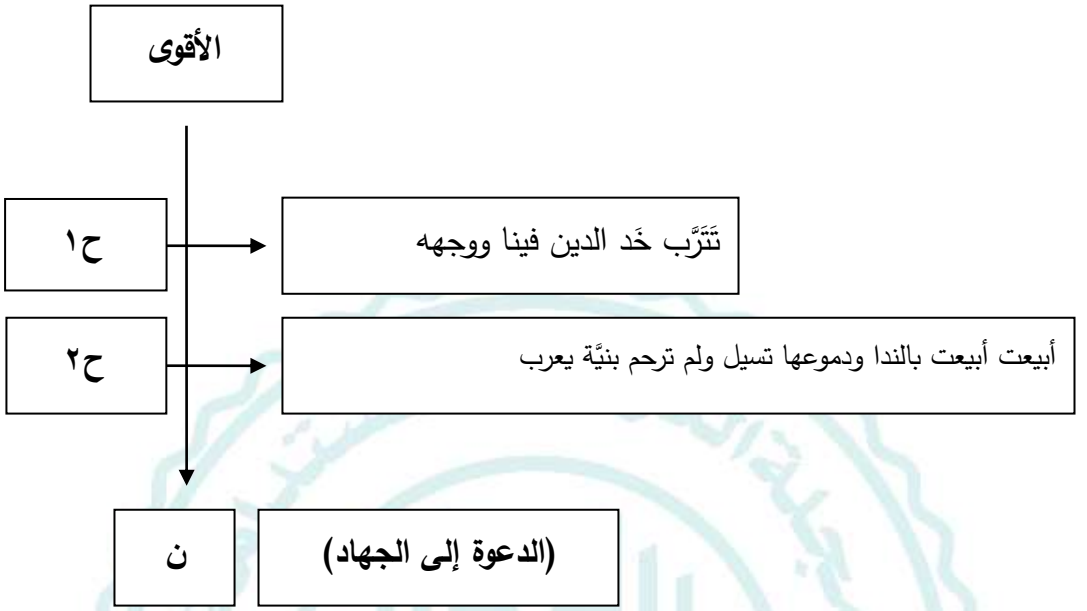
الأقوى
ح١
تَتَرَّب خَد الدين فينا ووجهه
ح٢
أبيعت أبيعت بالندا ودموعها تسيل ولم ترحم بنيَّة يعرب
ن
(الدعوة إلى الجهاد)

*** قول ابن الخياط من (الطويل)** (الخياط ، ٢٠٢٠، صفحة ٢٩):

وَمَا هذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ ∴ فَيَحْزَنَ فِيهَا الْقَاطِنُ الْمُتَرَحِّلُ

هِيَ الدَّارُ إِلاّ أَنَّها كَمَفازَةٍ ∴ أَنَاخَ بِها رَكْبٌ وَرَكْبٌ تَحَمَّلُوا

مُنِينَا بِهَا خَرْقَاءَ لاَ الْعَذْلُ تَرْعَوِي ∴ إِلَيْهِ وَلاَ مَحْضَ النَّصِيحَة تَقْبَلُ

لَنَا وَلَهَا فِي كلِّ يَوْمٍ عَجَائِبٌ ∴ يَحَارُ لَهَا لُبُّ اللَّبِيبِ وَيَذْهَلُ

يَطُولُ مَدَى الأَفْكَارِ في كُنْهِ أَمْرِها ∴ فَيَنْكُصُ عَنْ غَايَاتِه الْمُتَوَغِّلُ

يلاحظ أن الحجج التي ساقها الشاعر على أن الدنيا فانية، جاءت متدرجة تنازليًا طبقًا للسلم الحجاجي، فبدأ بالحجة الأقوى، وهي قوله: أَنَّها كَمَفازَةٍ أَنَاخَ بِها رَكْبٌ وَرَكْبٌ تَحَمَّلُوا، حيث ساق أبلغ التشبيهات لتصوير حال الدنيا، فذكر أنها كالصحراء ينزل بها قوم، ويرحل آخرون، ثم جاء بالحجة الثانية وهي أقل قوة، وهي قوله: خَرْقَاءَ لاَ الْعَذْلُ تَرْعَوِي إِلَيْهِ وَلاَ مَحْضَ النَّصِيحَة تَقْبَلُ، ثم جاء بالحجة الثالثة وهي قوله: يَطُولُ مَدَى الأَفْكَارِ في كُنْهِ أَمْرِها فَيَنْكُصُ عَنْ غَايَاتِه الْمُتَوَغِّلُ، وهي حجة أضعف من الأولى والثانية، وارتبطت جميع هذه الحجج بالنتيجة المضمرة، وهي تصوير حال الدنيا، ويمكن أن يكون السلم الحجاجي متمثلًا فيما يلي:

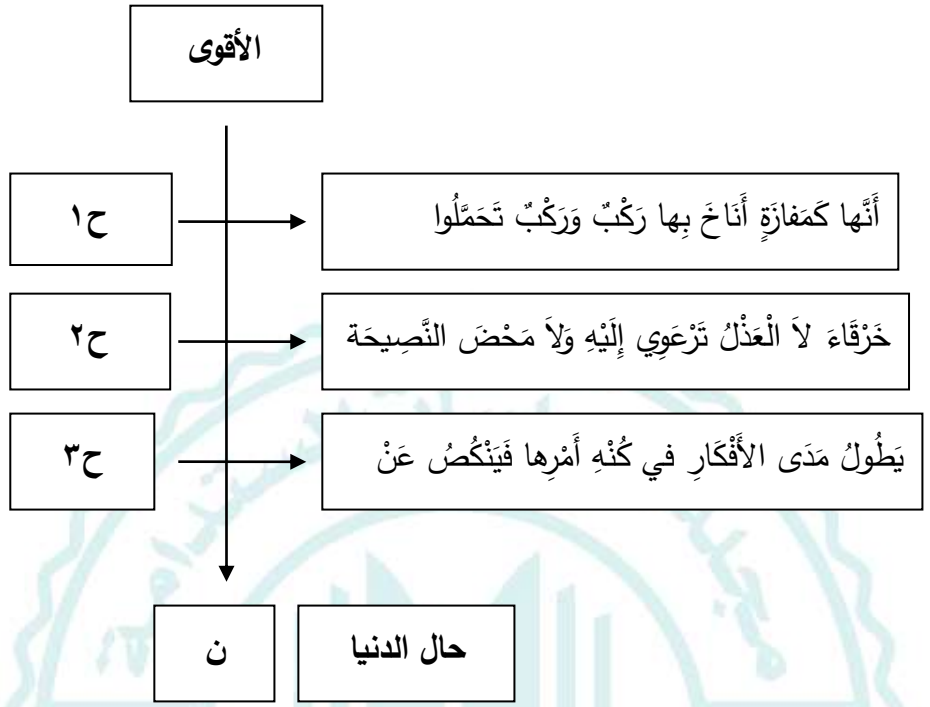
الأقوى
ح١
أَنَّها كَمَفازَةٍ أَنَاخَ بِها رَكْبٌ وَرَكْبٌ تَحَمَّلُوا
ح٢
خَرْقَاءَ لاَ الْعَدْلُ تَرْعَوِي إِلَيْهِ وَلاَ مَحْضَ النَّصِيحَة
ح٣
يَطُولُ مَدَى الأَفْكَارِ في كُنْهِ أَمْرِها فَيَنْكُصُ عَنْ
ن
حال الدنيا

قول مهيار الديلمي من (الرمل) (الديلمي ، ١٩٢٥ ، صفحة ٦٤) :

لا تخـــــالي نَسَـــــبًا يخفِضُـــــني ∴ أنـــا مَـــن يُرضـــيكِ عنـــد النســـبِ

قَـــوْمِيَ اســـتولَوْا علـــى الـــدهرِ فَتـــىً ∴ ومَشَـــوْا فـــوق رءوسِ الحِقَـــبِ

عمَّمـــوا بالشـــمسِ هامـــاتِهُمُ ∴ وبَنـــوْا أبيـــاتَهم بالشـــهُبِ

وأَبـــى كِســـرَى علـــى إيوانـــهِ ∴ أيـــن فـــي النـــاس أبٌ مثـــلُ أبـــي

قـــد قَبســـتُ المجـــدَ مـــن خيـــرِ أبٍ ∴ وقبَســـتُ الـــدينَ مـــن خيـــرِ نبـــي

وضَـــممتُ الفخـــرَ مـــن أطرافِـــهِ ∴ ســـودَ الفـــرسِ وديـــنَ العـــرب

في هذه الأبيات يحاور الشاعر أم سعد الفتاة العربية محاولًا أن يقنعها بشرف نسبه وعظمة أجداده، فيسوق لها الحجج على ذلك فبدأ بالفخر بقومه والتغني بأمجاد الفُرْس، فقد وصلوا بمجدهم عنان السماء وعانقوا الشمس بل فاقوها علوًا ورفعة، وهي أقوى الحجج، وذلك في قوله:

قَوْمِيَ استولَوْا على الدهرِ فَتىً ومَشَوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشمسِ هاماتِهُمُ وبَنَوْا أبياتَهم بالشهُبِ

ثم احتج بعد ذلك بكسرى ملك الفرس واقتباسه المجد منه، وهي أضعف مما قبلها، في قوله:

وأَبى كِسرَى على إيوانهِ أين في الناس أبٌ مثلُ أبي

ثم أتبع ذلك بحجة أخرى وهي الفخر بالإسلام وبرسول الله ﷺ ، ولكن هذا الفخر قد يكون فقط حتى لا يعاب عليه فخره بنسبه ولا يفخر بدينه، وعليه أرى أنها أضعف الحجج؛ لأن الشاعر فارسي وليس بعربي الأصل، في قوله:

قد قَبستُ المجدَ من خيرِ أبٍ وقبَستُ الدينَ من خيرِ نبي
وضَممتُ الفخرَ من أطرافِهِ سوددَ الفرسِ ودينَ العرب

وعليه يكون السلم الحجاجي كالآتي:

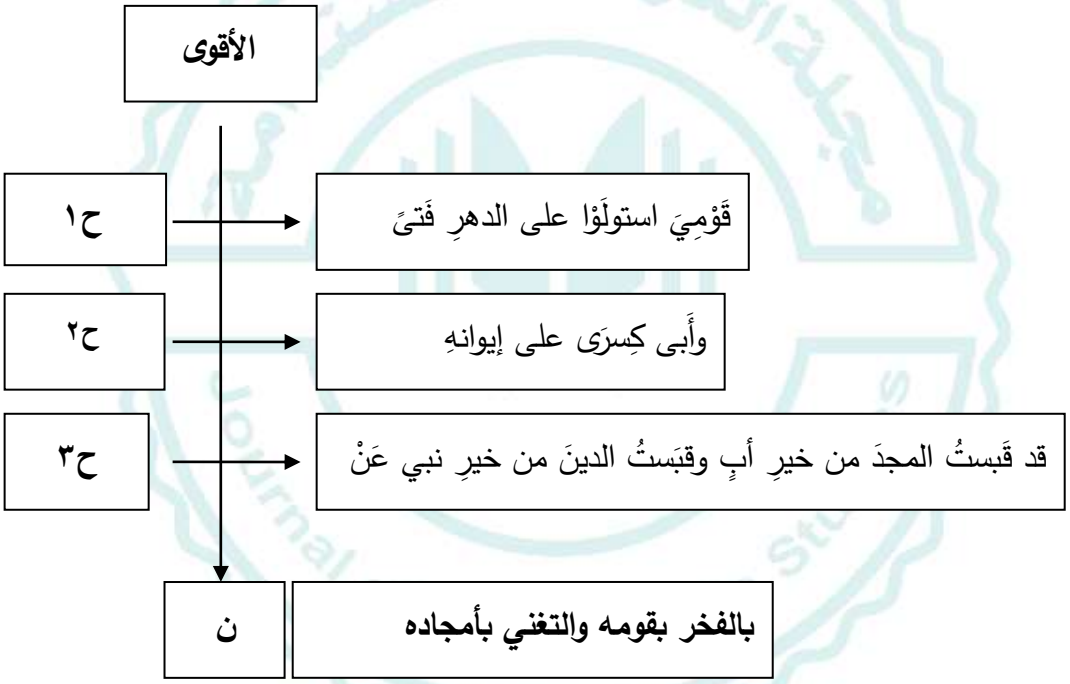

قول الطُّغْرائي[٤] يصف حاله ويشكو زمانه من (البسيط)(الطغرائي ، ١٩٦٣، صفحة ٨٥) :

فـــيمَ الإقامُـــة بـــالزوراءِ لا سَـــكَني ∴ بهـــا ولا نـــاقتي فيهـــا ولا جَملـــي

نَـــاءٍ عـــن الأهـــلِ صِـــفْرُ الكـــفِّ منفـــردٌ ∴ كالســـيفِ عُـــرِّيَ متنـــاهُ مـــن الخَلـــلِ

فـــلا صـــديقَ إليـــه مشـــتكَى حزَنِـــي ∴ ولا أنـــيسَ إليـــه منتَهـــى جـــذلي

طـــالَ اغترابـــيَ حتـــى حـــنَّ راحلتـــي ∴ ورحُلهـــا وقـــرَى العَسَّـــالةِ الـــذُّبلِ

قدم الشاعر في هذه الأبيات أكثر من حجة على عدم إقامته بالزوراء (بغداد)، فبدأ بالحجة الأولى وهي بعده عن وطنه في قوله:(لا سَكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي) وهي أقوى الحجج حيث أن الإنسان يحن إلى وطنه الذي يسكن به لزوج أو غيره، ثم ساق حجة أخرى أضعف من سابقتها وهي بُعْده عن أهله وكل مقومات الصلابة حتى أصبح كالسيف الذي جُرِد من كل ما يحميه ويظهر رونقه، في قوله:

نَاءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ من الخَلِلِ

ثم أتبع ذلك حجة أخرى أضعف الحجج وهي فقده للصديق والأنيس في قوله:

فلا صديقَ إليه مشتكَى حزَنِي ولا أنيسَ إليه منتَهى جذلي

وعليه يكون السلم الحجاجي لهذه الأبيات كما يلي:

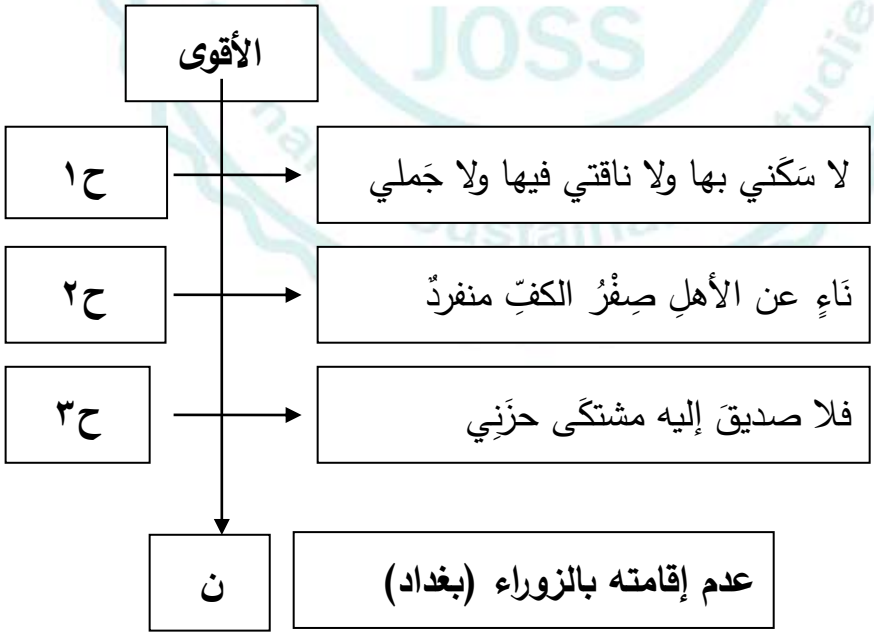

المبحث الثالث: الحجاج التراكمي:

يكون هذا النوع من السلم أكثر عفوية وتلقائية من النوعين السابقين، حيث تتعدد فيه الحجج وتتراكم دون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتلك الحجج، فكل حجة تكون هي أقوى وأكثر فاعلية في اللحظة التي تستعمل فيها (قادا، ٢٠١٥، صفحة ٧٤) ، والحجج في هذا النوع من السلم تكون مستقلة ومزدحمة في الوقت ذاته، فنقض أي حجة منها يؤدي إلى نقض الحجة التي تليها أو تسبقها (غليوي ، ٢٠١٠، صفحة ٩٨) ، ومن أمثلته لدى شعراء المشرق العربي في القرن الخامس الهجري ما يأتي:

*** قول إبراهيم الحضرمي من (الطويل)** (الحضرمي ، ٢٠٠٢، صفحة ٩٢) :

متى أحمل السيف المشطب أصبحت ∴ طغاة الورى ذلًا عراة المناكب

وما الخير إلا في السيوف وهزها ∴ وإلقائها في الهام أو في الحواجب

بها ندرك الفردوس والحور والعلا ∴ معًا والمعالي والتماس المناقب

وحمل الفتى للسيف في الله ساعة ∴ كستين عامًا من عبادة راهب

يسوق الشاعر حججه على أن حمل السيف، أي: الجهاد هو الحل الأمثل لتغيير الأوضاع البائسة في البلاد في ذلك الوقت، وهذه الحجج جاءت متراكمة دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس، فقد بدأ الشاعر بحجة قوية وهي قوله: بها ندرك الفردوس والحور والعلا معًا، ثم انتقل إلى الحجة الأقل قوة وهي قوله:(والمعالي والتماس المناقب)، ثم أورد في النهاية أقوى الحجج وهي قوله: وحمل الفتى للسيف في الله ساعة كستين عامًا من عبادة راهب، أي أن الجهاد في سبيل الله من أفضل العبادات، وعلو أمره وتفوقه على سائر الأعمال.

* قال صُرَّدُر بن صربعر[٥] من (البسيط) (صردر ، ٢٠٠٨، صفحة ٣٣) :

قـــل للُعريـــبِ أنيبـــى إنهـــا دولٌ ∴ والطعـنُ فـي النحـر دون الطعـنِ فـي الـدولِ

هيهـــات لـــيس بنـــو العبـــاس ظلُّهـــمُ ∴ عـــن ســـاحة الـــدين والـــدنيا بمنتقـــلِ

حَمَـــى حقيقـــتَهم مُـــرٌّ مَذاقَتُـــهُ ∴ موســـد الـــرأى بـــين الرَّيـــثِ والعجـــلِ

موطَّـــأُ فـــإذا لُـــزَّت حفيظتُـــه ∴ تكاشـــر المـــوتُ عـــن أنيابـــهِ العُصُـــلِ

إيهـــا عقيـــل إذا غابـــت كتائبُـــهُ ∴ فُـــزتم وإن طلعـــتْ طِـــرتم مـــع الحَجَـــلِ

هـــلاَّ وقوفـــا ولـــو مقـــدار بارقـــةٍ ∴ ومـــا الفِـــرار بمنَجـــاةٍ مـــن الأجـــلِ

يسوق الشاعر في هذه الأبيات الحجج والأدلة على قوة بني العباس وهي قوله: (ليس بنو العباس ظلُّهمُ عن ساحة الدين والدنيا بمنتقلِ)، و(حَمَى حقيقتَهم، مُرٌّ مَذاقَتُهُ، موسد الرأى بين الرَّيثِ والعجلِ)، و(موطَّأُ فإذا لُزَّت حفيظتُه تكاشر الموتُ عن أنيابهِ العُصُلِ) دون مراعاة لترتيب تلك الحجج من حيث القوة أو الضعف.

* **قول الطغرائي من (البسيط)** (الطغرائي ، ١٩٦٣، ٩٤):

يـــا واردًا ســـؤْرَ عـــيشٍ كلُّـــه كَـــدَرٌ ∴ أنفقـــتَ عُمـــرَكَ فـــي أيامِـــكَ الأُوَلِ

فـــيمَ اعتراضُـــكَ لُـــجَّ البحـــرِ تركَبُـــهُ ∴ وأنـــتَ تكفيـــك منـــه مصّـــةُ الوَشَـــلِ

مُلْـــكُ القناعـــةِ لا يُخْشَـــى عليـــه ولا ∴ يُحتـــاجُ فيـــه إلـــى الأنصـــار والخَـــوَلِ

ترجـــو البَقـــاءَ بـــدارٍ لا ثَبـــاتَ لهـــا ∴ فهـــل سَـــمِعْتَ بظـــلٍّ غيـــرِ منتقـــلِ

ويـــا خبيـــرًا علـــى الأســـرار مُطّلِعًـــا ∴ اصْـمُتْ ففـي الصَّـمْتِ مَنْجـاةٌ مـن الزَّلَـلِ

قـــد رشَّـــحوك لأمـــرٍ إنْ فطِنـــتَ لـــهُ ∴ فاربـــأْ بنفســـكَ أن ترعـــى مـــع الهَمَـــلِ

في هذه الأبيات يسوق الشاعر الحجج والبراهين ليقنع نفسه بحقيقة السوء الذي كان عليه عصره، والتي استوعبت المجتمع واحتوته؛ لأن نفسه مازالت تنطوي على بقية من طماح وشرارات من الأمل مما استوجب الحجاج وزيادة الأدلة والبراهين فبدأ بالحجة الأولى وهي: كدر العيش في قوله:

يا واردًا سؤْرَ عيشٍ كلُّه كَدَرٌ أنفقتَ عُمرَكَ في أيامِكَ الأُوَلِ

ثم اتبعها حجة ثانية وهي: مصة الوشل التي تغني عن البحر في قوله:

فيمَ اعتراضُكَ لُجَّ البحرِ تركَبُهُ وأنتَ تكفيك منه مصّةُ الوَشَلِ

وساق بعدها حجة ثالثة وهي: ملك القناعة الذي لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصار للحماية أو العبيد للخدمة في قوله:

مُلْكُ القناعةِ لا يُخْشَى عليه ولا يُحتاجُ فيه إلى الأنصار والخَوَلِ

ثم ذكر حجة أخرى وهي: أن الدنيا فانية في قوله:

ترجو البَقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها فهل سَمِعْتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ

ثم أتى بآخر الحجج وهي: أن الصمت منجاة من الزلل، في قوله:

ويا خبيرًا على الأسرار مُطّلِعًا اصْمُتْ ففي الصَّمْتِ مَنْجاةٌ من الزَّلَلِ

وبعد سوقه هذه الحجج يحذر الشاعر نفسه من أعاديه الذين يسعون في قهره، وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الأذى به، فأمر نفسه بالهرب منهم وألا يطاوعهم على ما يرومونه منه إذا أراد أن لا يرعى هاملًا فيعود سُدَى.

وبعد يلاحظ أن الطغرائي أورد تلك الحجج في خطابه لنفسه دون مراعاة لترتيبها من حيث القوة أو الضعف، ليكون حجاجًا تراكميًا.

*** قال صردر بن صربعر مادحًا عميد الدولة من (الطويل)** (صردر ، ٢٠٠٨، صفحة ١٠٥) :

وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها ∴ فأنشأتَها في عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغنيَّ على الغِنَى ∴ مَزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى

ألستَ من القوم الذين نداهُمُ ∴ حبائُلهم والراغبون بها أسرى

يبيتون في المشتى خِماصًا وعندهم ∴ من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى

خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا ∴ من النار في الظلماء ألويةً حُمرا

في هذه الأبيات يرسم الشاعر صورة يسمو فيها بالممدوح إلى القمة في الكرم والعطاء، فساق الأدلة والحجج على ذلك فبدأ بصورة تجاوز فيها نطاق البشر إلى نطاق الإلوهية فالنعماء جاءت بنفسها لينشئها الممدوح النشأة الأخرى، وهو مقتبس من قوله تعالى: (وأن عليه النشأة الأخرى) (النجم : ايه ٤٧) ، وهو مدح مبالغ فيه لأن هذا مقام الإلوهية، ولكن يعد ذلك من أقوى الحجج، ثم تبعها بحجة أخرى وهي: أنه يعطي الغني ليزداد غنى، ويعطي الفقير ليصبح ثريًا، ثم ساق حجة ثالثة وهي: أنه من القوم الذين يجعلون في كرمهم حبائل تأسر الراغبين، وهما أقل من سابقتهما، ثم عاد الشاعر ليسوق لنا حجة قوية أخرى على كرم ممدوحه، وهي أنه وقومه يبيتون جياعًا وفي حوزتهم فضلات من

الزاد خشية أن يأتي إليهم أحد فلا يجدون له شيئًا، ولا يكتفون بذلك بل يشعلون النار في الليلة الشديدة الظلام هداية لعابري السبيل ودعوتهم أن يأتوا إليهم، ومن ثمَّ يتضح عدم مراعاة الشاعر لترتيب الحجج.

الخاتمة:

الحَمْدُ للهِ وَالحَمْدُ حَقُهُ كَما يَسْتِحِقُّهُ حَمْداً كَثِيراً وفيرًا مباركًا فيه، لا انتهاء له ولا نفاد أما بعدُ:

فإنه وبعد خوض بعض أشعار من كتبوا في القرن الخامس الهجري وخصوصًا الشعراء الذين كتبوا بالسياسة ولأجلها ولرجالاتها ظهرت لنا النتائج الآتية:

١. وفرة الحجاج في قصائدهم نتيجة كثرة الأحداث السياسية وكثرة رجالات السياسة وقتها.

٢. لوحظ في أشعارهم الحجاج بأنواعه التصاعدي والتنازلي والتراكمي.

٣. إن المرسل ينظم حججه أثناء التواصل على وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة منها: مرتبة المرسل، وطبيعة المرسل إليه، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي.

٤. إن السلم الحجاجي لا يحمل قضيتين متعارضتين دفعة واحدة أو أكثر، وإنما يكتفي بأطروحة واحدة مؤيدة أو معارضة مثبتة أو مفندة.

٥. إن الشاعر قد يمضي في حججه من الأضعف إلى الأقوى وذاك حجاجٌ تصاعدي

٦. قد يتدرج الشاعر في حججه وأدلته من الأقوى إلى الأضعف حسب المخاطب ورتبته وذلك حجاج تنازلي قدي يكون فيه حطًا من مكانة الممدوح أو المخاطب.

٧. ولربما يكون الحجاج عفويًا وتلقائيًا دون تسلسل في الحجج فترى الشاعر يسوق حججه بشكل عشوائي دون مراعاة لمسألة الأقوى والأضعف فحينها يأتي الحجاج تراكميًا.

الهوامش:

[١] مهيار بن مرزويه، أبو الحسن، أو أبو الحسين، الديلميّ: شاعر كبير، في معانيه ابتكار، وفي أسلوبه قوة. قال الزبيدي: شاعر زمانه. فارسي الأصل، من أهل بغداد. كان منزله فيها بدرب رباح، من الكرخ. وبها وفاته. ينعته مترجموه بالكاتب، ولعله كان من كتاب الديوان، ولد في الديلم، في جنوب جيلان، على بحر قزوين، وأنه استخدم في بغداد للترجمة عن الفارسية، وكان مجوسيا، وأسلم (سنة ٣٩٤ هـ على يد الشريف الرضي (فيما يقال) وهو شيخه، وعليه تخرج في الشعر والأدب، له ديوان شعر، توفي سنة ٤٢٨هـ : ينظر: تاريخ بغداد ٢٧٦/١٣، وتاج العروس ٥٥١/٣.

[٢] علي بن الحسين بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلي، ينتهي إلى عقيل بن أبي طالب، وذكره ابن سعيد في كتاب المغرب، وساق له قطعة كبيرة من شعره، وله أرجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز في أرجوزته التي ذم فيها الصبوح ومدح الغبوق: ينظر: فوات الوفيات ١٨/٣.

[٣] عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي، أبو الفضل: أمير، من الكتاب الشعراء. من أهل خراسان، له ديوان شعره، توفي سنة ٤٣٦هـ: ينظر: كشف الظنون: ١٦٣٩، وفوات الوفيات ٢٥/٢.

[٤] الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو إسماعيل، مؤيد الدين، الأصبهاني الطغرائي نسبة إلى كتابة الطغراء: شاعر، من الوزراء الكتّاب، كان ينعت بالأستاذ. ولد بأصبهان، واتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته. ثم اقتتل السلطان مسعود وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمود وقبض على رجال مسعود، وفي جملتهم الطغرائي، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النقمة عليه، لما كان الطغرائي مشهورا به من العلم والفضل، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك، فاتخذه السلطان محمود حجة، فقتله سنة ٥١٣هـ، له ديوان شعر، وأشهر شعره (لامية العجم) ينظر: الوفيات ٥٩/١، الأعلام ٢٤٦/٢.

[٥] علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي، أبو منصور: شاعر مجيد، من الكتاب، كان يقال لأبيه " صرّبعر " لبخله، وانتقل إليه اللقب حتى قال له نظام الملك: أنت " صر در، لاصر بعر " فلزمته. مدح القائم العباسي ووزيره ابن المسلمة. قال الذهبي: لم يكن في المتأخرين أرقّ طبعا منه، مع جزالة وبلاغة. تقنطر به فرسه، فهلك سنة ٤٦٥هـ، بقرب خراسان. ينظر: وفيات الأعيان ٣٥٩/١، والأعلام ٢٧٢/٤.

المصادر :-

***القران الكريم**

١. أ.د مزاحم مطر حسين، مروة حسام كاظم، السلالم الحجاجية في كلام الأمام حسن (عليه السلام)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٨.

٢. أ.م د نعمة دهش فرحان الطائي، الخطاب الحجاجي وصلاته الاجتماعية مقاربة سوسيو لسانية، مجلة أستاذ، العدد٢٢، المجلد١، ٢٠١٧.

٣. إبراهيم بن قيس الهمذاني الحضرمي، ديوان أبراهيم الحضرمي، تحقيق بدر بن هلال اليحمدي، دار معالم للطباعة والنشر، سلطة عمان، ط١، ٢٠٠٢.

٤. أبي حصينة، ديوان ابن أبي حصينة، تحقيق محمد أسعد طلس، المطبعة الهاشمية، دمشق_سوريا، ط١، ١٩٥٦.

٥. أحمد بن محمد الخياط، ديوان ابن الخياط، المطبعة العلوية، د ب ن، ط١، ٢٠٢٠.

٦. أركان رحيم جبر العتابي، أثر التعبير القرآني في الشعر العربي القرن الخامس الهجري) دراسة فنية، أطروحة دكتوراة، كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد.

٧. د. مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، لبنان، ط١، ٢٠١٥.

٨. د.حافظ إسماعيل غليوي، آليات الحجاج وأدواته، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، عمان_الأردن، د ط، ٢٠١٠: ٩٨/١.

٩. د.حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية، مجلة مقاليد، العدد (١٣)، ٢٠١٧.

١٠.د.عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل العباسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري أنموذجًا (دراسة تحليلية)، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٥.

١١.الديلمي، ديوان مهيار الديلمي، المكتبة المصرية، القاهرة_مصر، ط١، ١٩٢٥.

١٢. شريف الرضي، ديوان شريف الرضي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، وزارة الأعلام، بغداد_العراق، ط١، د ت.

١٣. صردر ، ديوان صردر، تحقيق د/.محمد سيد علي عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر، ط١، ٢٠٠٨.

١٤. الطغرائي، الطغرائي، حياته، شعره، لاميته، تحقيق على جواد الطاهر، مكتبة النهضة، بغداد_العراق ، ط١، ١٩٦٣.

١٥. عايد جدوع حنو، وصلاح جباري شناوة العبودي، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، كلية العلوم الإنسانية، العدد (٢)، ٢٠١٦.

١٦. عفيشي عمر، سيمولوجيا الاتصال في الخطاب الديني، قصص الأنبياء في القرآن إنموذجًا، رسالة دكتوراة، كلية العلوم والإعلام، الجزائر، ٢٠١١.

١٧. العقيلي، ديوان الشريف العقيلي، تحقيق د. زكي المحاسني، دار إحياء التراث العربية، القاهرة_مصر، د ط، د ت.

١٨. م.م عادل هاشم الميالي، المنطق الدعائي والحجاجية الإقناعية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، العدد٢٠٤، المجلد،٢٠١٣.

١٩. الميكالي، عبد الله بن أحمد ، ديوان الميكالي، تحقيق د. رضا الحبيب السويسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٩٧٥.